الرؤى الخامسة

الموعد

فريد الخمال

عودي إليَّ ثانيةً..سأنتظر..أكثر من عمر الأرض سأنتظر..

وليد صالح

الموعد

صعد الرجل العشريني الدرجات، بعدما بسطت العتمة كفها فوق المدينة النائمة الهائمة، وقبل أن يصل إلى رأس السلم وقف ليلتقط أنفاسه ثم استمر في الصعود، لا يسمع إلا صوت خطواته وهي تخفق على السلم، إلى أن وصل، فتح الباب، ثم علق معطفه على المِشْجَب، وألقى بنفسه على الأريكة الجلدية الوثيرة، كان يومًا مُتعبًا بعد العمل لما يزيد عن اثنتي عشرة ساعة، منذ شهور وهو على هذا الحال، تراخى في كرسيه وأحس بثقل يتمدد في جفنيه، شعر برغبة شديدة في النوم، وأخذته غفوة بعدما استشعر دفء الأريكة ونعومتها، إنها اللحظات القليلة العائمة التي تسبق النوم مباشرة.

استيقظ على صوت أغنية مُنبعثة من التلفاز، لملم نفسه وتوجه ليُطفئه، إذ به يري زوجته مُستغرقة في مشاهدة الفيلم، ولم تعره اهتمامًا، اكتفت باستراق نظرة إليه وتابعت مشاهدتها، لم يدر كيف، حتى تعالت الأصوات وبدأ الصراخ، جلبة وضوضاء كسرت الصمت السائد، ثم صرخة مدوية تخللتها كلمة، انتفخت فيها أوداجها انبثقث واندفعت كما يندفع البركان، مزقت الأحشاء وجرفت كل سنوات الحب، بعثرت كل العواطف والقبلات، وتحولت لامرأة لا تعرف معني الوفاء، بعدما كانت تهيم به عشقًا

وولهًا؛ فاكتسحها حزن يشبه الطعنة، وبدأ وجهها يتفصد بالعرق، أحسَّت بهول الفاجعة، وبتحطم الأحلام الوردية، فوق مستنقع الصراخ الطويل والقلق المستمر.

شعر بغصة عريضة تسد حلقه كأنها نصل معقوف منعه من بوح أي كلمة، ادْلَهَمَّ المكان، واللون الباهت ساد ناظريه، وبدت ورود المزهرية شاحبة، وأقل جمالًا، تشكو قسوة وجفاف قلوب أصحابها، جلس ناظرًا حوله، كمن وقع في إغماء طويل، لم يكن وسيمًا ولا ودودًا ولا نبيلًا كفاية، لكنه كان يستطيع كتابة رواية عن الحرب، ويجعلها الناجية الوحيدة، يسمع صوتها الخافت، يبكي بما يشبه الصمت، تسبح داخل ذلك الذهول الصارخ بصمت كسيح.

لم يكن من الممكن أن يتوقع شيئًا مروعًا من هذا النوع، عقدة المسبحة أصغر من حباتها، ولكنها إذا انفكت كرَّت حباتها واحدة تلو الأخرى، لقد كرت المسبحة فجأة بالطريقة التي لم يتوقعانها، هل توقعا أن يحدث هذا الأمر؟ الأمور قد اختلط؛ الماضي يتداخل مع الحاضر والمستقبل، أفكار وأوهام وتخيلات.

طلقني، طلقني..

بدأت الكلمة تدق في رأسه كالناقوس، كان للحروف المعدودة وقع الصاعقة عليه، عندها جاء المستقبل الراعب بكل

ضجيجه، هل كان يعرف أن هذا الأمر سيقع؟ هل أحس ذلك الشيء الفاجع قبل أن يحدث؟ أحيانًا يقول لنفسه: نعم، عرفت ذلك قبل أن يحدث، وأحيانًا أخري يقول لنفسه: لا، أنا أتصور ذلك بعد أن حدث، ولام نفسه لكونه لم يحضِّر جملة يرد بها.

دارت الزوبعة دورتها الغاضبة ثم صدمها الجدار فسقطت كأوراق الخريف، ظل واجمًا مُرتعد الأوصال في مكانه، في محاولة منه لعدم تصديق ما سمع، وقلبه كأنما يصعَّد في السماء، عجز عقله عن التفكير، وارتد إلى الوراء مدهوشًا مطعونًا، كانت دهشته قد اتخذت شكل الانهيار المَهِيض الجناح، لقد مضت اللحظات بطيئة وقاسية، قلبها يضرب في جسدها كالوتر المشدود، أحست بالتُّؤْبَةِ، وبدت الغرفة مهجورة، لا يسمع شيء غير دقات ساعة الحائط تدق خطواتها الباردة كصوت عكاز مغرد بلا توقف.

تدق، تدق، تدق، وقلبها يزيد خفقانه، وأعادت تلك الدقات حفيف كلماتها الأولى إلى الساحل، تذكر كيف بدأت قصة الحب بطريقة كلاسيكية عند أول نطرة، حيث التقيا أول مرة، عند التقاء جَزْرِها بمده، لم يكن شيء أجمل من عينيها، وثغرها عندما ينطق بالعبارات، ثم بدت له السنوات الماضية مجرد كابوس انتهى على صورة مفزعة.

هل حب سنوات سيذوب كقطعة جليد في ثوان قليلة؟

حلقات متصلة من القدر لو فقدت حلقة واحدة لاختلفت مصائر شتى، لم يتوقع أن يصل بهما حصان الحب الجامح، وأن يركلهما بعيدًا، ويرمي بهما كعربة ثقيلة تصطدم ويتحطم كل شيء.

فجأة سأل نفسه: مامعني تلك الكلمة؟ وكان مثل من فتح مصراعي شباك أمام إعصار غير متوقع، فأخذ رأسه بين راحتيه وحاول أن يوقف ذلك الدوران المجنون، والإرهاق المر، دون أن يجرؤ على مواجهته، وكأن السؤال يد انتشلته من أعماق بئر محشو بالغبار، انبطح الحزن على جبينهما، وتصبب العرق باردًا على جسده.

أيعقل بعد هذا الحب أن تكوني المُتسببة في خراب صدري وبعثرةِ حياتي؟ ودفن همومي داخلي؟ ويتحول فمنا الذي ضم قصتنا خصيمنا في المحاكم! لتحوم حولنا كل شياطين الكراهية والبغض والاكتئاب والقسوة، بعدما حامت حولنا ملائكة الحب والرحمة، لتأتي اللحظة التعيسة، ارتجت القلوب، وعُذبت الأرواح، وشقيت العقول.

هذه اللحظة سبقتها شهور من التفكير لفصم هذه العلاقة، بدأ بتوقف المشاعر، وتجمد العواطف، وتصلب الوجدان، ثم نشب المخالب التي كانت مطلية بألوان زاهية، ليعلن عن فشل رجل وامرأة، فَشِلا في تكريس المعنى الحقيقي للحياة، فَشِلا في تأكيد نبع

المودة والرحمة، من طرفي عينيه نظر إليها؛ كان وجهها مشدوهًا أميل إلى الاصفرار، وكانت عيناها تتدفقان بالدموع، وأحست بالدموع الحارقة تسد حلقها، ودارت السماء بها دورتها، وزلزلت الأرض زلزالها، لا تلبث أن تمسح دموعها حتى تتساقط غيرها.

الدموع! الدموع لا تستطيع أن تصلح قلوبًا تحطمت، كل دموع العالم لا تستطيع أن تحمل زورقًا صغيرًا يتسع لزوجين، ولو ظل الإنسان يبكي طيلة حياته، احتوت رأسها بين راحتيها، مُنكفئة في مقعدها، شعرت بالخوف والضياع قد مدا خيوطهما غير المرئية، فتعطلت مشاعر طيبة، وحلَّت مشاعر لا يحملها الإنسان إلا لندٍّ أو عدو، جاء الماضي يجر حقائبه ليستوطن في عقلها.

غياب الحوار لأكثر من ستة أشهر، وعدم رؤية بعضهما البعض إلا أحيانًا، بعدما انغمس في عمل يظل يومه مرهقًا فيه، جعلها تنهال على مشاهدة الأفلام والمسلسلات التي ترسم الحب الوردي بعيدًا عن الواقعية، جعلها تطمح دومًا في أن يتحول زوجها لبطل فيلم ويسعدها كما يسعد البطل زوجته، أحيانًا يحسب المرء أن قصة ما بدأت فإذا بها تنتهي بغير إذن؛ إن مستقبل إنسان كامل تراه فجأة مُتعلقًا بحادث صغير لا قيمة له، ألا يمكن أن يكون مجرد حلم طويل ممطوط، وكابوس لزج يفرش نفسه فوقه كأخطبوط هائل.

استيقظت الأم لتجد ابنها غارقًا في دموعه والعرق يتصبب عليه صبًّا، مُرتعد الأوصال، ووجهه أميل إلى الاصفرار، كالعادة لم تحس إلا والدموع تنهمر على خديها ساخنة مُتحسرة على فلذة كبدها وقرَّة عينها، الذي لم يعرف راحة أو طمأنينة منذ ستة أشهر بعد آخر نظرة من أبيه لأمه في المحكمة، كل ليلة يتكرر السيناريو، رغم المُسكنات ورغم كل المحاولات، فكما قال المختص؛ إنه لا أمل له في الشفاء إلا إذا زال عنه إحساس الذنب، وأنه المُتسبب في الطلاق، ليعيش الواقع بحلاوته ومرارته.

نمت بحمد الله

obeikan.com

فريد محمد الخمال

- مغربي الأصل ويُقيم في المغرب.
- حاصل على شهادة الإجازة في الدراسات الإسلامية.
- حاصل على شهادة الإجازة المهنية في التربية الإسلامية من المدرسة العليا للأساتذة.
- وشواهد أخرى في التنمية البشرية والإعلاميات.
- مدرس لغة عربية وتربية إسلامية بمدرسة عمومية.
- أحب القراءة لأحمد خالد توفيق، وغسان كنفاني.
- نشرت من قبل في موقع ورقة المصري وأكتب في جريدة جهوبة المغربية.
- هواياتي القراءة والكتابة، والتصوير الفوتوغرافي، والتمثيل المسرحي والسينمائي.

للتواصل معي عبر موقع التواصل الاجتماعي الفيسبوك:

https://www.facebook.com/khamal.prod

obeikan.com